يَـشِـيـنُـهـا جَـرْيُـهَـا عَـلَـى بَـلَـدٍ
تَـشِـيـنُـهُ الْأَدْعَـيَـاءُ وَالْـقَـزَمُ[١]
أَبَـا الْـحُـسَـيْـنِ اسْـتَـمِـعْ فَـمَـدْحُـكُـمُ
بِـالـفِـعْـلِ قَـبْـلَ الْـكَـلَامِ مُـنْـتَـظِـمُ[٢]
وَقَـدْ تَـوَالَـى الْـعِـهَـادُ مِـنْـهُ لَـكُـمْ
وَجَـادَتِ الْـمَـطْـرَةُ الَّـتِـي تَـسِـمُ[٣]
أُعِـيـذُكُـمْ مِـنْ صُـرُوفِ دَهْـرِكُـمُ
فَـإِنَّـهُ فِـي الْـكِـرَامِ مُـتَّـهَـمُ[٤]

معدن الذهب الرغام

وقال يمدح المغيث بن العجلي:

[الوافر]

فُـؤَادٌ مَـا تُـسَـلِّـيـهِ الْـمُـدَامُ
وَعُـمْـرٌ مِـثْـلُ مَـا تَـهَـبُ الـلِّـئَـامُ[٥]

---

(١) يشينها: يعيبها. الأدعياء: هم الذين يُنسبون إلى غير آبائهم. القزم: أراذل الناس وسفلتهم. لم يجد الشاعر عيباً في البحيرة، ولكنه وجدها محاطة بسفلة الناس والرعاع، فجريانها يضيع سدًى في أمثال أدعياء لا آباء لهم حقيقة، إنما ينتسبون لغير آبائهم، كأنهم أبناء سِفاح.

(٢) أخيراً بعد انحراف عن المدح شغل حيّزاً كبيراً من القصيدة تذكّر ممدوحه، فراح يُخاطبه بأن أفعاله في أبواب الخير حملت الناس على مدحه قبل مدحه من قبل الشعراء، لذلك فأفعاله أوحت للشعراء بذكر فضائله.

(٣) العهاد، الواحد عهد: المطر يتلو المطر. المطرة التي تسمّى: الوسمي من الأمطار في مطلع الربيع. يُلمّح الشاعر إلى أنه قد أفاض على آل الممدوح مدحاً كثيراً، وهذه القصيدة إحداها تُشيد بهم وتذكر فضائلهم وجودهم.

(٤) وردت القصيدة في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٢٧. صروف الدهر: مصائبه ونوائبه، يسأل الشاعر اللّه سبحانه وتعالى أن يحمي آل الشاعر من غدرات الزمان ومصائبه، لأنه مولع بالاستئثار بكرام الناس، لذا يحسّ محبّوهم بسرعة فقدهم.

(٥) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٥٩. المدام: من أسماء الخمرة. =

وَدَهْـــرٌ نَـــاسُـــهُ نَـــاسٌ صِـــغَـــارٌ
وَإِنْ كَـانَـتْ لَـهُـمْ جُـثَـثٌ ضِـخَـامُ[١]

وَمَـا أَنَـا مِـنْـهُـمُ بِـالْـعَـيْـشِ فِـيـهِـمْ
وَلٰـكِـنْ مَـعْـدِنُ الـذَّهَـبِ الـرَّغَـامُ[٢]

أَرَانِـــبُ غَـــيْـــرَ أَنَّـــهُـــمُ مُـــلُـــوكٌ
مُـفَـتَّـحَـةٌ عُـيُـونُـهُـمُ نِـيَـامُ[٣]

بِـأَجْـسَـامٍ يَـحَـرُّ الْـقَـتْـلُ فِـيـهَـا
وَمَـا أَقْـرَانُـهَـا إِلَّا الـطَّـعَـامُ[٤]

= اللئام، الواحد لئيم: من اتّصف بالشحّ وخساسة الآباء والنفس. ينعى الشاعر قصر عمره بحيث لا يُبيح له تحقيق كلّ آماله وطموحه من هذه الحياة، فالعمر نزر قليل إنه شبيه بهبة لئيم بخيل، والقلب مفعم بطموح عظيم لا تُسليه الخمرة في حال عدم تحقيق ما تقدّمه الحياة.

(١) يُردف الشاعر أن الدهر عجيب غريب، فناسه بشر أشكالهم أشكال البشر، ولكن عقولهم عقول الأطفال في أمانيهم وأخلاقهم وأعمالهم وطموحاتهم رغم أن بعضهم ضخام الجثث، فلم يستفيدوا من تلك المزايا التي امتازوا بها.

(٢) ورد البيت في: أمالي ابن الشجري ١: ٣٣٥. الرغام: التراب. يتبرّأ الشاعر من معاصريه، إنه يعيش بينهم ويُعاشرهم لاضطراره التعامل معهم، ولكن مثله مثل الذهب، ذلك المعدن النبيل الثمين الذي تحتضنه الأرض بترابها، وهو خلاف التراب نوعاً وشكلاً وخصائص ومزايا.

(٣) يُبدي الشاعر احتقاره وكرهه للملوك، إنهم في الواقع كالأرانب يتكاثرون وينهبون خيرات الأرض والبشر ويأكلون بشراهة، ونومهم عجيب غريب، إنهم يُفتّحون أعينهم وهم نِيام لجبنهم وخوفهم من أن ينقلب عليهم الطامعون بملكهم، فيبقون بين اليقظة والسهاد والغفلة والنوم؛ فلن يعرفوا طعم النوم الحقيقي.

(٤) يحرّ: يشتدّ. الأقران، الواحد قِرن، بكسر القاف: الكفوء. ينعى الشاعر على هؤلاء الملوك، فهمّهم الوحيد أن يُتخموا بطونهم لشدّة نهمهم وشرههم، فيموتون بسبب ذلك، وهم لم تُحدّثهم أنفسهم بخوض المعارك ومقارعة الأقران، فتحيي فيهم الهمم التي قضى عليها نهمهم وتخمتهم.

وَخَـيْـلٍ مَـا يَـخِـرُّ لَـهَـا طَـعِـيـنٌ
كَـأَنَّ قَـنَـا فَـوَارِسِـهَـا ثُـمَـامُ[١]
خَـلِـيـلُـكَ أَنْـتَ لَا مَـنْ قُـلْـتَ خِـلِّـي
وَإِنْ كَـثُـرَ الـتَّـجَـمُّـلُ وَالْـكَـلَامُ[٢]
وَلَـوْ حِـيـزَ الْـحِـفَـاظُ بِـغَـيْـرِ عَـقْـلٍ
تَـجَـنَّـبَ عُـنُـقَ صَـيْـقَـلِـهِ الْـحُـسَـامُ[٣]
وَشِـبْـهُ الـشَّـيْءِ مُـنْـجَـذِبٌ إِلَـيْـهِ
وَأَشْـبَـهُـنَـا بِـدُنْـيَـانَـا الـطَّـغَـامُ[٤]
وَلَـوْ لَـمْ يَـعْـلُ إِلّا ذُو مَـحَـلٍّ
تَـعَـالَـى الْـجَـيْـشُ وَانْـحَـطَّ الْـقَـتَـامُ[٥]

(١) يخرّ: يسقط. القنا: الرماح. الثمام: ضرب من النبت ضعيف. يُردف الشاعر معقباً على ذكر معايب هؤلاء الملوك؛ إنهم يمتطون متون خيولهم للتباهي والزهو الكاذب، لذا لا يهوي عدوّهم صريعاً مضرّجاً بدمائه، ذلك أن رماحهم ضعيفة استمدّت ضعفها من ضعفهم فبدت كالثمام.

(٢) الخلّ: الصديق والرفيق. التجمّل: التملّق وحلو الحديث. يُحدّد الشاعر معنى الصداقة في مفهومه؛ فصديق الإنسان نفسه، فلا يحكمن أحد أن فلاناً صديقه، وإن كثر تملّقه وصاغ حلو الودّ، فهو بلا ريب كاذب يعمل على الاستفادة ممّن يُوقعه في شركه.

(٣) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٦٥. حيز، مجهول من حاز: ملك. الحفاظ: المحافظة على الحقوق. الصيقل: صانع السيوف. الحسام: السيف البتّار، يُنكر الشاعر على هؤلاء الملوك قلّة الوفاء والحفاظ على الودّ بصدق ومحبّة، فمثلهم كمثل صانع السيوف، فقد يكون ضحية سيف صنعه، فإذا به يفصل عنقه عن جسده.

(٤) الطغام: الرعاع وأرذل الناس. يهجو الشاعر الدنيا والبشر؛ فالدنيا غدّارة طُبعت على اللؤم والخساسة، وناسها على شاكلتها، فكان التشابه بينهما لتشابه عنصريهما في خصائصهما.

(٥) ذو محل: ذو مكانة عالية، القتام: الغبار. يُتابع الشاعر هجاء معاصريه، فمن بلغ =

وَلَــوْ لَــمْ يَــرْعَ إلّا مُــسْــتَــحِــقٌّ
لِــرُتْــبَــتِــهِ أَسَــامَــهُــمُ الْــمُــسَــامُ[١]
وَمَــنْ خَــبَــرَ الْــغَــوَانِــيَ فَــالْــغَــوَانِــي
ضِــيَــاءٌ فِــي بَــوَاطِــنِــهِ ظَــلَامُ[٢]
إذَا كَــانَ الــشَّــبَــابُ الــسُّــكْــرَ وَالــشَّــيْــ
ـبُ هَــمًّــا فَــالْــحَــيَــاةُ هِــيَ الْــحِــمَــامُ[٣]
وَمَــا كُــلٌّ بِــمَــعْــذُورٍ بِــبُــخْــلٍ
وَلَا كُــلٌّ عَــلَــى بُــخْــلٍ يُــلَامُ[٤]

= مكانة رفيعة لا يستحقّها أصلاً فلا بدّ من مغالطة ساعدته على الحصول عليها، أو أنه انتهز فرصة وساعدته ظروفه، وذلك شأن معظم من تبوّأوا مراكز عالية لا يستحقّونها، فلو كانوا يستحقّون مراكزهم لما تصاعد الغبار فوق جيوش المتقاتلين.

(١) لم يرع: لم يسُس. أسام الرعية: أرعاها. يُتابع الشاعر تهجّمه على الملوك، إنهم رعاة يجب أن يقوموا بسياسة الناس بالعدل ودفع الظلم عنهم، ولكنهم ظلمة جهلة، فلو كانوا رعاة البهائم لكان على البهائم أن يسوسوهم لأن فيهم من يُحسن السياسة والرعاية أفضل من الملوك.

(٢) الغواني، الواحدة غانية: الشَّابة التي اغتنت بجمالها فلم تتزيّن. يُعرّج الشاعر على نقد الجميلات من النسوة، إنهنّ شعاع جذّاب وبريق وضّاء يجذب قلوب الرجال فيقعون في حبالهن ويشقون فإذا بهم يُعانون ظلمة الحرمان وألم الهجر والغيرة والتحاسد.

(٣) الحمام، بكسر الحاء: الموت. يُبدي الشاعر نظرة تشاؤمية من خلال مسار المرء في حياته، فشبابه لهو ولعب واغترار بعزم الشباب وقوّة وعدم التعقل والتحرّز من الوقوع في المهالك، فإذا ما امتدّ به العمر بدأ التلاشي في جسده، فراح يبكي ماضيه ويتمنّى الرجوع إليه، ولكن ليس إلى ذلك من سبيل، فالموت على الأبواب، وحياة بني البشر منذ بدئها تحمل في طيّاتها الموت.

(٤) يُعرّج الشاعر على موضوع الكرم والبخل، والفقير المحتاج لا يُلام على بخله، لأن فاقد الشيء لا يُعطيه، وكذلك من نشأ في بيت اعتاد البخل فأبناؤه سيكونون بخلاء طبعاً وتربية. وهم يخافون الفقر ناسين أن من يُغني هو اللّه سبحانه وتعالى. والأغنياء لا يعذرون إذا بخلوا، فالأولى بهم أن يجودوا بالمال لقيام حياة البشر على ما يجب أن تكون.

وَلَـمْ أَرَ مِـثْـلَ جِـيـرَانِـي وَمِـثْـلِـي
لِـمِـثْـلِـي عِـنْـدَ مِـثْـلِـهِـمِ مُـقَـامُ[١]
بِـأَرْضٍ مَـا اشْـتَـهَـيْـتَ رَأَيْـتَ فِـيـهَـا
فَـلَـيْـسَ يَـفُـوتُـهَـا إِلّا الْـكِـرَامُ[٢]
فَـهَـلّا كَـانَ نَـقْـصُ الْأَهْـلِ فِـيـهَـا
وَكَـانَ لِأَهْـلِـهَـا مِـنْـهَـا الـتَّـمَـامُ[٣]
بِـهَـا الْـجَـبَـلَانِ مِـنْ صَـخْـرٍ وَفَـخْـرٍ
أَنَـافَـا: ذَا الـمُـغِـيـثُ وَذَا الـلُّـكَـامُ[٤]
وَلَـيْـسَـتْ مِـنْ مَـوَاطِـنِـهِ وَلٰـكِـنْ
يَـمُـرُّ بِـهَـا كَـمَـا مَـرَّ الْـغَـمَـامُ[٥]
سَـقَـى الـلَّـهُ ابْـنَ مُـنْـجِـبَـةٍ سَـقَـانِـي
بِـدَرٍّ مَـا لِـرَاضِـعِـهِ فِـطَـامُ[٦]

(١) و (٢) ينقل الشاعر تبرّمه وتأفّفه إلى جيرانه؛ إنهم جيران سوء، لا يراعون حسن الجوار، ولا يعرفون للجار حقًّا عليهم، مع الإحسان إليهم من جهة الشاعر وصبره على جفائهم، إنها الأقدار رمته في جيرة طُبعت على الضّرر والإضرار لجيرتها، إنها أرض اجتمعت فيها كل المساوئ فشأن أهلها المكروه من الصفات الذميمة والأخلاق المنحطة، لذا فلن يعثر المرء على كريم فيها.

(٣) يتطرّق الشاعر إلى موضوع حساس جدًّا، فالبيئات الاجتماعية هي عبارة عن أحياء يعيش فيها سكّان متجانسون اجتماعياً وطبقياً وثقافياً وعرقياً وأخلاقياً؛ فمحلته نموذجيّة للعيش فيها ويلزمها استبدال ساكنيها بغيرهم لتكون محلّة نموذجية تتوفر فيها كلّ أسباب العيش والرفاهية.

(٤) يتخلّص إلى مدح ممدوحه، فثمّة جبلان شامخان، أحدهما صخر يُعانق السماء، إنه جبل اللكام، وثانيهما جبل بشري يرتفع بجوده وفضائله، إنه يُغيث الملهوف بنفسه وماله؛ إنه وجهة الشاعر ومقصده.

(٥) الغمام، الواحدة غمامة: الغيوم الكثيفة. يعود الشاعر إلى ذكر تلك المحلّة المذمومة، إنها ليست موطن الممدوح ولكنه يمرّ بها مرور الكرام كغيوم كثيفة، فيُصيبها منه طلّ يُنعش ساكنيها برفده وجوده.

(٦) المنجبة: المرأة التي تلد النجباء. الدرّ: اللبن. الفطام: التوقّف عن إرضاع الأم =

وَمَــنْ إحْــدَى فَــوَائِــدِهِ الْــعَــطَــايَــا
وَمَــنْ إحْــدَى عَــطَــايَــاهُ الــذِّمَــامُ(١)
وَقَــدْ خَــفِــيَ الــزَّمَــانُ بِــهِ عَــلَــيْــنَــا
كَــسِــلْــكِ الــدُّرِّ يُــخْــفِــيــهِ الــنِّــظَــامُ(٢)
تَــلَــذُّ لَــهُ الْــمُــرُوءَةُ وَهْــيَ تُــؤْذِي
وَمَــنْ يَــعْــشَــقْ يَــلَــذُّ لَــهُ الْــغَــرَامُ(٣)
تَــعَــلَّــقَــهَــا هَــوَى قَــيْــسٍ لِــلَــيْــلَــى
وَوَاصَــلَــهَــا فَــلَــيْــسَ بِــهِ سَــقَــامُ(٤)
يَــرُوعُ رَكَــانَــةً وَيَــذُوبُ ظَــرْفــاً
فَــمَــا يَــدْرِي أَشَــيْــخٌ أَمْ غُــلَامُ(٥)

= رضيعها. يدعو الشاعر لممدوحه النجيب الذي سقي من جوده أن يستمرّ تدفّق الخير في يديه، فقد روي من لبن خيره ما يُشبعه ويُشجعه على طلب المزيد من عطاياه، مُتمنّياً ألّا يفطمه على رضاع كهذا، ويُديم اللّه تعالى عليه فضله ونعمه.

(١) يروى «الدوام» بدلاً من «الذمام». والذمام: العهد. يصف الشاعر ممدوحه بجوده، وتلك ظاهرة من صفات عديدة يتمتّع بها، فمن قرّبه الممدوح زاده رفعة وشرفاً وعِزّة ومودّة وصحبة، بحيث أصبح الشاعر من خلصاء الممدوح، ولم يُعامله معاملة سائر الشعراء.

(٢) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٦٤. يروى «فقد» بدلاً من «وقد». السلك: الخيط الذي ينتظم به العقد. لقد كان الممدوح بمحاسنه وفضائله حائلاً دون إساءات الزمن، فإذا بوجه الزمان الكالح العابس يختفي ليحلّ مكانه وجه يحمل الخير والأمل للشاعر، كسلك ينتظم في سلكه كلّ الدرّ بتناسقه وإشراق ضيائه.

(٣) و (٤) المروءة: المسارعة إلى مساعدة المحتاجين. الغرام: حبّ أي عمل مضنٍ، أو حبّ معذّب. إن الممدوح مولّه بما هو مكلف متعب، ورغم ذلك فإنه يلذّ له ذلك، ففي العذاب احتراق الشوائب التي تعلق وتُشوّه البشر تماماً كالذهب ففي إذابته بنار لاهبة يتخلّص ممّا يشوبه ليعود صافياً برّاقاً يتلألأ ضياءً، فثمّة حبّ يشدّهما إلى بعضهما تماماً كحب قيس العامري لليلى، ولكن قيساً ابتلي بمرض الجنون ولم يُوفق بحبّه لها، بينما نجح الممدوح فكان لقاء وتواصل بينه وبين المروءة.

(٥) يروع: يخيف. الركانة: الوقار. الظرف: خفة الروح وذكاء القلب. يُردف الشاعر =

وَتَـمْـلِـكُـهُ الْـمَـسَـائِـلُ فِـي نَـدَاهُ
وَأَمَّـا فِـي الْـجِـدَالِ فَـلَا يُـرَامُ[١]
وَقَـبْـضُ نَـوَالِـهِ شَـرَفٌ وَعِـزٌّ
وَقَـبْـضُ نَـوَالِ بَـعْـضِ الْـقَـوْمِ ذَامُ[٢]
أَقَـامَـتْ فِـي الـرِّقَـابِ لَـهُ أَيَـادٍ
هِـيَ الْأَطْـوَاقُ وَالـنَّـاسُ الـحَـمَـامُ[٣]
إِذَا عُـدَّ الْـكِـرَامُ فَـتِـلْـكَ عِـجْـلٌ
كَـمَـا الْأَنْـوَاءُ حِـيـنَ تُـعَـدُّ عَـامُ[٤]
تَـقِـي جَـبَـهَـاتُـهُـمْ مَـا فِـي ذَرَاهُـمْ
إِذَا بِـشِـفَـارِهَـا حَـمِـيَ الـلِّـطَـامُ[٥]

= مدح ممدوحه، إنه يتّسم برزانة الشيوخ في تصرّفه، فضلاً أنه يبدو خفيف الظلّ يذوب مرحاً وحيوية وخفّة روح فتًى في مقتبل العمر، والمرء في حيرة من أمره، أهو أمام شيخ متزمّت؟ أم هو أمام فتًى تفتّحت أمامه الحياة، فأقبل عليها بفرح؟

(١) المسائل: المطالب. الندى: الجود، الكرم. الجدال: المحاورة. لا يُرام: لا يُحتمل. يصف الشاعر ممدوحه بكرمه العظيم، فما من سائل إلّا ويحصل على بُغيته، وكذلك فإنه عالي الكعب في مناظراته ومحاوراته ممَّا يدلّ على علمه الغزير ومعرفته وثقافته العالية.

(٢) النوال: العطاء. الذام: العيب. يذكر الشاعر أن عطاء ممدوحه فيه الخير، يرفع الحاصل عليه ويزيده رفعة وعزة وشرفاً، بينما عطاء سواه فيه منٌّ وخزي لمن يأخذه، لأنه عطاء لا يخرج من قلب طبع على الجود.

(٣) الأيادي: النعم. الحمام: اسم جامع لسائر أنواعه. يمدح الشاعر ممدوحه بالجود، فجوده قد طوّق أعناق سائر الناس، ففي كلّ عنق له صدقة ويد كما تُزيّن أعناق الحمام بأطواقها.

(٤) عجل: قبيلة الممدوح. الأنواء، الواحد نوء، وهو سقوط نجم من منازل القمر في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه في الفجر. يمدح الشاعر قبيلة الممدوح؛ فعجل أفضل الخلق، وسائر البشر دونهم مكانة وكرماً وشجاعة، وقياسهم يُساوي وحدة الزمن السنوية، كالأنواء التي يتمثّل فيها الغيث ليعمّ الأرض ومن عليها وما عليها من سقوط أولها إلى سقوط آخرها، تلك هي عجل برجالاتها وكرمهم.

(٥) تقي: تحمي. الذرى، بفتح الذال: كلّ ما استترت به. الشفار، الواحدة شفرة: حدّ =

وَلَوْ يَمَّمْتَهُمْ فِي ٱلْحَشْرِ تَجْدُو
لَأَعْطَوْكَ الَّذي صَلَّوْا وَصَامُوا[١]
فَإِنْ حَلُمُوا فَإِنَّ الْخَيْلَ فِيهِمْ
خِفَافٌ وَالرِّمَاحُ بِهَا عُرَامُ[٢]
وَعِنْدَهُمُ الْجِفَانُ مُكَلَّلَاتٍ
وَشَزْرُ الطَّعْنِ وَالضَّرْبُ التُّؤَامُ[٣]
نُصَرِّعُهُمْ بِأَعْيِنِنَا حَيَاءً
وَتَنْبُو عَنْ وُجُوهِهِمِ السِّهَامُ[٤]

= النصل. اللطام: الصدام بالسيوف. يمدح الشاعر حميّة قبيلة الممدوح، فهم يواجهون سيوف الأعداء ليحموا من استنجد بهم وأوى إليهم عندما يشتدّ القتال ويحمى الوطيس.

(١) يمّم: قصد شطر فلان، تجدو: تطلب من كرمهم. الحشر: يوم البعث والقيامة وسواء أكانت قبيلة الممدوح في عالم الحياة أم في يوم البعث والنشور، فالكرم فيهم مزيّة لا تتغيّر، فلو أن أحد الموتى كان بحاجة لحسنات وكان مقصّراً، وطلب من أحد أفراد القبيلة لما تردّد بإمداده من حسناته من صلاته وصيامه؛ وهذا ما يدلّ على أن سائر أفراد القبيلة تُقاة مؤمنون حقاً.

(٢) الحلم: العفو والمغفرة عند المقدرة، عُرام: شراسة. ما يميّز تلك القبيلة ظاهرتان؛ أولاهما الحِلم والمغفرة، وهم قادرون على أخذ المذنب بذنبه، وتلك ظاهرة تنم عن نبل أصحابها، وثانيهما أنهم يُسارعون إلى القتال، وهم على ظهور خيول خفاف ليجابهوا أعداءهم بلا توانٍ وجُبن.

(٣) الجفان، الواحدة جفنة: القصعة. الشزر: ما كان من الطعن يميناً وشمالاً. التؤام: المزدوج. يمدح الشاعر هؤلاء القوم بالجود، فهم يملأون جفانهم باللحوم للصادر والوارد، فلا يُميّزون بين ضيوفهم، وهي مملوءة بلا انقطاع، وهم في نفس الوقت شجعان يُمارسون فنون القتال طعناً برماحهم، ممَّا يدلّ على شجاعة عظيمة لديهم.

(٤) صرعه: طرحه. نبا السهم عن هدفه: مال وأخطأ. يمدح الشاعر القوم بشدّة الحياء، فلو أن أحداً نظر إليهم وحدّد نظره لغلبهم ومالوا بوجوههم لرقتها ولفرط احتشامهم، ولكن تلك الوجوه تبدو على حقيقتها إذا واجهوا أعداءهم، فإذا بهم يتلقّون السهام بوجوههم لشجاعتهم، فإذا بسهام أعدائهم تطيش عن أهدافها.

قَبِيلٌ يَحْمِلُونَ مِنَ الْمَعَالِي
كَمَا حَمَلَتْ مِنَ ٱلْجَسَدِ الْعِظَامُ(١)
قَبِيلٌ أَنْتَ أَنْتَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ
وَجَدُّكَ بِشْرٌ الْمَلِكُ الْهُمَامُ(٢)
لِمَنْ مَالٌ تُمَزِّقُهُ الْعَطَايَا
وَيَشْرَكُ فِي رَغَائِبِهِ الْأَنَامُ(٣)
وَلَا نَدْعُوكَ صَاحِبَهُ فَتَرْضَى
لأَنَّ بِصُحْبَةٍ يَجِبُ الذِّمَامُ(٤)
تُحَايِدُهُ كَأَنَّكَ سَامِرِيٌّ
تُصَافِحُهُ يَدٌ فِيهَا جُذَامُ(٥)

---

(١) القبيل: الجماعة، يُردف الشاعر مدحه لقبيلة الممدوح، إنهم يحملون أعباء المعالي بقدرة وعزم وكرم وشجاعة، إنهم بمثابة العظام لهيكل يشمل الجسد، فلولاهم ما كان للحم قيام وقيمة.

(٢) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٨٣. يُؤكد الشاعر على انتماء ممدوحه إلى تلك القبيلة، إنه منهم بمثابة الروح للجسد كما كان جدّه بشر ملكاً عظيماً عليهم، فعليه وعلى أكتاف جدّه قامت عظمة تلك القبيلة.

(٣) و (٤) الرغائب، الواحدة رغيبة: ما يُرغب باقتنائه. الأنام: البشر. الذمام: العهد. رأى الشاعر ما أثار دهشته، أموال تتناوشها أيدي البشر، ولا مانع يمنعهم فكأن تلك الأموال لا يمتلكها أحد، وهي بين يدي الممدوح، فالمنطق يجعل المال لمن كانت بين يديه، ولذا فمن البدهي أن يُعزى للممدوح، ولكنه يمتنع حتى على ادّعائه ولا يرضى بذلك، فإن فعل فلا بدّ أن يقوم على صيانته وحمايته من أيدي العابثين، وهو معروف منه أنه يحمي ذماره وعرضه.

(٥) حايده: جانبه، مال عنه. السامري: نسبة إلى السامرة في فلسطين، وفئة من اليهود الغلاة. الجذام: مرض البرص، يُخاطب الشاعر ممدوحه مستغرباً كيف أنه لا يهتم بما لديه من مال، وكأن هذا المال نجس وكأن الممدوح من السامريين الذين يتنجّسون من مخالطة من سواهم فضلاً عن الأموال لدنسها.

إِذَا مَـا الْـعَـالِـمُـونَ عَـرَوْكَ قَـالُـوا
أَفِـدْنَـا أَيُّـهَـا ٱلْـحِـبْـرُ الْإِمَـامُ[١]
إِذَا مَـا الْـمُـعْـلِـمُـونَ رأَوْكَ قَـالُـوا
بِـهٰـذَا يُـعْـلَـمُ الْـجَـيْـشُ الـلُّـهَـامُ[٢]
لَـقَـدْ حَـسُـنَـتْ بِـكَ الأَوْقَـاتُ حَـتّـى
كَـأَنَّـكَ فـي فَـمِ الـدَّهْـرِ ابْـتِـسَـامُ[٣]
وَأُعْـطِـيـتَ الَّـذِي لَـمْ يُـعْـطَ خَـلْـقٌ
عَـلَـيْـكَ صَـلَاةُ رَبِّـكَ وَالـسَّـلَامُ[٤]

لا تسلم الأعداء منه ويسلم

يمدح عبد الواحد بن العباس بن أبي الإصبع الكاتب:

[الطويل]

نَـرَى عِـظَـمـاً بِـالْـبَـيْـنِ وَالـصَّـدُّ أَعْـظَـمُ
وَنـتَّـهِـمُ الْـوَاشِـيـنَ وَالـدَّمْـعُ مِـنـهُـمُ[٥]

---

(١) عروك: قصدوك طالبين جواك. الحِبر، بكسر الحاء: العالم. يُنوّه الشاعر بما عليه ممدوحه من علم ومعرفة بحيث يقصده العلماء ليفيدوا ويستزيدوا منه علماً ومعرفة، وهم يعلنون صراحة بأنه حبرهم وأعلمهم.

(٢) المعلمون: الأبطال الذين يتّخذون لأنفسهم علامة يفرّقون بها أنفسهم عمن سواهم من الجند. الجيش اللهام: الجيش اللجب العظيم. يُشيد الشاعر بشجاعة ممدوحه، إنه يتّخذ لنفسه علامة تميّزه عمن سواه من جنده، فيقصده الأعداء، فيكونون من صرعاه، والجيش الذي ينتمي إليه يكون بدوره معلّماً ومميّزاً عمّن سواه من الجيوش لأن قائده أشجع الشجعان.

(٣) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٦٤. يُخاطب الشاعر ممدوحه بأنه فلتة الزمان أشرقت أنواره، فإذا بالسعادة تعمّ الكون، وإذا بالحياة تبدو بسمة على فم الزمان بعدما ادلهمّت أفق حياة البشر، فإذا بالبسمة تعمّ الوجود والبشر.

(٤) لقد خصّ اللّه سبحانه وتعالى الممدوح بما ميّزه عن سائر الخلق بالعلم والتقى وكرم الأخلاق والجود والشجاعة، لذا يدعو له الشاعر برعاية اللّه تعالى لتنعم روحه فيرضى السلام عليه.

(٥) البين: البعد. الواشي: النمام. يبدأ الشاعر قصيدته المدحية بالغزل. الهجر والبعد =